رِسَالَةُ الْمُسْتَرْشِدِيْنَ

للإمام

أَبِيْ عَبْد الله الْحَارِث بْن أَسَد الْمُحَاسِبِيّ الْبَصَرِيّ

(165-243)هـ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

قَالَ أَبُوْ عَبْدِ اللهِ الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيّ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّاوَّلِ الْقَدْيْمِ الْوَاحِدِالْجَلِيْلِ الَّذِيْ لَيْسَ لَهُ شَبِيْهٌ وَلَا نَظِيْرٌ،أَحْمَدُهُ حَمْدًا يُوَافِيْ نِعَمَهُ وَيَبْلُغُ مَدَى نَعْمَائِه .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلَهَ إِلَّاالله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةَ عَالِمٍ بِرُبُوْبِيَّتِهِ عَارِفٍ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ اصْطَفَاهُ لِوَحْيِهِ وَخَتَمَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى جَمِيْعِ خَلْقِهِ:{ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَأَنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ[إِلَّانفال:42}

أَمَا بَعْدُ!

فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اجْتَبَى مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ ذَوِي الْأَلْبَابِ الْعَالِمِيْنَ بِهِ وَبِأَمْرِهِ فَوَصَفَهُمْ بِالْوَفَاءِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ فَقَالَ عَزَّوَعَلَا:{إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ[19] الَّذِيْنَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ [20] وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوْءَ الحِسَابِ [الرعد:19- 21}.

فَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ وَوَصَلَ التَّصْدِيْقُ إِلَى قَلْبِهِ وَرَغِبَ فِي الْوَسِيْلَةِ إِلَيْهِ لَزِمَ مِنْهَاجَ ذَوِي الْأَلْبَابِ بِرِعَايَةِ حُدُوْدِ الشَّرِيْعَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُهْتَدُوْنَ من الْأَئِمَّةِ.

وَهَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيْمُ الَّذِيْ دَعَا إِلَيْهِ عِبَادَهُ فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [إِلَّانعام : 153}.

وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِن بَعْدِيْ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ).

وَاعْلَمْ أَنَّ فَرِيْضَةَ كِتَابِ اللهِ الْعَمَلَ بِحُكْمِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ

وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءَ لِوَعْدِهِ وَوَعِيْدِهِ وَالْإِيْمَانِ بِمُتَشَابِهِهِ وَ الاِعْتِبَارِ بِقِصَصِهِ وَأَمْثَالِهِ.

فَإِذَا أَتَيْتَ بِذَلِكَ فَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُوْرِ الْعِلْمِ وَمِنْ عَذَابِ الشَّكِّ إِلَى رَوْحِ الْيَقِيْنِ قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:{ اللهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ[البقرة : 257}.

وَإِنَّمَا يَمِيْزُ ذَلِكَ وَيَرْغَبُ فِيْهِ أَهْلُ الْعَقْلِ عَنِ اللهِ الَّذِيْنَ عَمِلُوْا فِي إِحْكَامِ الظَّاهِرِ وَ تَنَزَّهُوْا عَنِ الشُّبَهِ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُوْرٌمُشْتَبِهَاتٌ)[1] تَرْكُهَا خَيْرٌ مِّنْ أَخْذِهَا.

فَافْحَصْ عَنِ النِّيَّةِ وَاعْرِفِ الْإِرَادَةَ فَإِنَّ الْمُجَازَاةَ بِالنِّيَّةِ

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى).

وَالْزَمْ تَقْوَى اللهِ فَإِنَّ:(الْمُسْلِمَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنَ مَنْ أَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ).

قَالَ أَبُوْبَكْرٍالصِّدِّيْق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : اتَّقِ اللهَ بِطَاعَتِهِ، وَأَطِعِ اللهَ بِتَقْوَاهُ،وَكُفَّ يَدَكَ عَنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَبَطْنَكَ عَنْ أَمْوَالِهِمْ،وَلِسَانَكَ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ.

وَحَاسِبْ نَفْسَكَ فِيْ كُلِّ خَطْرَةٍ.

وَرَاقِبِ اللهَ فِيْ كُلِّ نَفَسٍ .قَالَ عُمَررَضِيَ اللهُ عَنْهُ :حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوْهَا قَبْلَ أَنْ تُوْزَنُوْا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ.

وَخَفِ اللهَ فِيْ دِيْنِكَ وَارْجُهُ فِيْ جَمِيْعِ أُمُوْرِكَ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ. قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَا تَخَفْ إِلَّا ذَنْبَكَ وَلَا تَرْجُ إِلَّا رَبَّكَ وَلَا يَسْتَحِي الَّذِيْ لَايَعْلَمُ أَنْ يَسْأَلَ حَتَّى يَعْلَمَ، وَلَا يَسْتَحِيْ مَنْ يُسْأَلُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُوْلَ:لَا أَعْلَمُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيْمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ كُلُّهُ.

فَإِذَا سَمِعْتَ كَلِمَةً تُغْضِبُكَ فِي عِرْضِكَ فَاعْفُ وَاصْفَحْ،فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُوْرِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :مَنْ خَافَ اللهَ لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ، وَمَنِ اتَّقَاهُ لَمْ يَصْنَعْ مَا يُرِيْدُ،وَلَوْلَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَكَانَ غَيْرَ مَا تَرَوْنَ.

وَرَاعِ هَمَّكَ وَاشْتَغِلْ بِإِصْلَاحِ نَفْسِكَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِكَ،فَإِنَّهُ

كَانَ يُقَالُ:كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ يَسْتَبِيْنَ لَهُ مِنَ النَّاسِ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِن نَّفْسِهِ أَوْ يَمْقُتُ النَّاسَ فِيْمَا يَأْتِيْ مِثْلَهُ،أَوْ يُؤْذِيْ جَلِيْسَهُ،أَوْ يَقُوْلَ فِي النَّاسِ مَا لَا يَعْنِيْهِ.

وَاسْتَعْمِلْ لِلَّهِ عَقْلَكَ بِتَرْكِ التَّدْبِيْرِ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى صَرْفِ الْمَقَادِيْرِ.قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَاابْنَ آدَمَ! لَاتَفْرَحْ بِالْغِنَى، وَلَا تَقْنَطْ بِالْفَقْرِ،وَلَا تَحْزَنْ بِالْبَلَاءِ،وَلَا تَفْرَحْ بِالرَّخَاءِ فَإِنَّ الذَّهَبَ يُجَرَّبُ بِالنَّارِ

[1]

وَإِنَّ العَبْدَ الصَّالِحَ يُجَرَّبُ بِالْبَلَاءِ، وَإِنَّكَ لَا تَنَالُ مَا تُرِيْدُ إِلَّا بِتَرْكِ مَا تَشْتَهِي،وَلَنْ تَبْلُغَ مَا تُؤَمِّلُ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ،وَابْذُلْ جُهْدَكَ لِرِعَايَةِ مَا افْتُرِضَ عَلَيْكَ.

وَارْضَ بِمَاأَرَادَكَ اللهُ لَهُ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ،وَاجْتَنِبْ مَاحَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ، وَأَدِّ مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَعْبَدِالنَّاسِ.

وَلَا تَشْكُ مَنْ هُوَ أَرْحَم بِكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ خَاصَّتِه.

قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيْ وَصِيَّتِهِ لِابْنِه:أَظْهِرِ الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّهُ الْغِنَى،وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ وَطَلَبَ الْحَاجَاتِ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ.

وَإِذَا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ كُلِّه:خَيْرِهِ وَشَرِّه.

وَكُنْ قَائِلًابِالْحَقِّ،عَامِلًا بِهِ،يَزِدْكَ اللهُ نُوْرًا وَبَصِيْرَةً،وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْأَى عَنْهُ،فَتَبُوْءَ بِإِثْمِه،وَتَتَعَرَّضَ لِمَقْتِ اللهِ،قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:{ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف : 3}.

وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(مَنْ وُعِظَ وَلَمْ يَتَّعِظْ وَزُجِرَ وَلَمْ يَنْزَجِرْ وَنُهِيَ وَلَمْ يَنْتَهِ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْخَائِبِيْنَ).

وَلَاتُخَالِطْ إِلَّا عَاقِلًا تَقِيًّا،وَلَا تُجَالِسْ إِلَّا عَالِمًا بَصِيْرًا.

وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ فَقَالَ:مَنْ ذَكَّرَكُمُ بِاللهِ رُؤْيَتُه، وَزَادَفِيْ عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ وَذَكَّرَكُمْ بِالْآخِرَةِ عَمَلُه).[2] وَتَوَاضَعْ لِلْحَقِّ وَاخْضَعْ لَهُ، وَأَدِمْ ذِكْرَ اللهِ تَنَلْ قُرْبَهُ.

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(جُلَسَاءُ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْخَاضِعُوْنَ،الْمُتَوَاضِعُوْنَ،الْخَائِفُوْنَ،الذَّاكِرُوْنَ اللهَ كَثِيْرًا).

وابْذُلِ النَّصِيْحَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُوْلِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ،وَشَاوِرْ فِيْ أَمْرِكَ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ اللهَ،قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:{إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ[فاطر:28}وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ).

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ نَصَحَكَ فَقَدْ أَحَبَّكَ وَمَنْ دَاهَنَكَ فَقَدْ غَشَّكَ وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ نَصِيْحَتَكَ فَلَيْسَ بِأَخٍ لَّكَ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:لَا خَيْرَ فِي قَوْمٍ لَيْسُوْا بِنَاصِحِيْنَ،وَلَا خَيْرَ فِيْ قَوْمٍ لَا يُحِبُّوْنَ النَّاصِحِيْنَ.

وَآثِرِ الصِّدْقَ فِيْ كُلِّ مَوْطِنٍ تَغْنَمْ وَاعْتَزِلِ الْفُضُوْلَ تَسْلَمْ

فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِيْ إِلَى الْبِرِّ وَالْبِرَّ يَهْدِيْ إِلَى رِضَا اللهِ تَعَالَى وَ الْكَذِبَ يَهْدِيْ إِلَى الْفُجُوْرِ وَ الْفُجُوْرَ يُوْرِثُ سَخَطَ اللهِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:لَا تَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، وَ دَعْ كَثِيْرًا مِّمَّايَعْنِيكَ،وَلَا تُمَارِ سَفِيْهًا وَلَا حَلِيْمًا وَاذْكُرْ أَخَاكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ.

وَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَّعْلَمُ أَنَّهُ مُجَازَى بِالْإِحْسَانِ مَأْخُوْذٌ بِالْإِجْرَامِ.

وَأَدِمْ شُكْرَ اللهِ،وَاقْصُرْ مِنْ أَمَلِكَ،وَ زُرِالْقُبُوْرَ بِهِمَّكَ تُذَكِّرْكَ الْمَوْتَ،وَجُلْ فِي الْحَشْرِ بِقَلْبِكَ.

وَقَالَ أَبُوْ ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:اعْمَلْ كَأَنَّكَ تَرَى وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى،وَاعْلَمْ أن الشَّرَّ لَا يُنْسَى وَالْخَيْرَ لَايُفْنَى، وَاعْلَمْ أَنَّ قَلِيْلا يُغْنِيْكَ خَيْرٌ مِّنْ كَثِيْرٍ يُطْغِيكَ. وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُوْمِ.

ثُمَّ رُمَّ جِهَازَكَ وَافْرُغْ مِنْ زَادِكَ،وَكُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ وَلَا تَجْعَلِ الرِّجَالَ أَوْصِيَاءَكَ وَاعْقِلْ أَمْرَكَ،وَتَيَقَّظْ مِنْ سِنَتِكَ،فَإِنَّكَ مَسْئُوْلٌ عَنْ عُمُرِكَ.

قَالَ أَبُوْ أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:لَوْ عَقَلَ ابْنُ آدَمَ عَن رَّبِّهِ كَانَ خَيْرًا لَّهُ مِنْ جِهَادِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ جَعَلَ هَمَّهُ الْآخِرَةَ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ كَمَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيْثِ الْمَرْوِيِّ:(تَفَرَّغُوْا مِنْ هُمُوْمِ الدُّنْيَا مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ أَفْشَى اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ،وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ،وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ.

وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا جَعَلَ اللهُ قُلُوْبَ الْمُؤْمِنِيْنَ تَنْقَادُ إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَوَدَّةِ).

وَاحْذَرْ يَا أَخِي الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ، وَالْجِدَالَ فِي الدِّيْنِ، وَالْكَلَامَ فِي التَّحْدِيْدِ وَكُنْ مِنَ الَّذِيْنَ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِمْ:{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا [الفرقان : 63}.

وَالْزَمِ الْأَدَبَ وَبَاعِدِ الْهَوَى وَالْغَضَبَ،وَاعْمَلْ فِيْ أَسْبَابِ التَيَقُّظِ،وَالْمُرَاقَبَةَ غَايَةَ قَصْدِكَ،وَاتَّخِذِ الرِّفْقَ خِدْنًا،وَالتَّأَنِّيَ صَاحِبًا، وَالسَّلَامَةَ كَهْفًا وَ الْفَرَاغَ غَنِيْمَةً وَالدُّنْيَا مَطِيَّةً وَالْآخِرَةَ مَنْزِلًا .

وَقَالَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ لِلْمُؤْمِنِ رَاحَةً دُوْنَ الْجَنَّةِ.

واحْذَرْ مَوَاطِنَ الْغَفْلَةِ وَمَخَاتِلَ الْعَدُوِّ وَطَرَبَاتِ الْهَوَى وَضَرَاوَةَ الشَّهْوَةِ وَأَمَانِيَّ النَّفْسِ فَإِنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(أَعْدَى أَعْدَائِكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ).

وَإِنَّمَا صَارَتْ أَعْدَى أَعْدَائِكَ لِطَاعَتِكَ لَهَا .

وَكُلُّ أَمْرٍ اشْتَبَهَ عَلَيْكَ فِيهِ الْحَقُّ فَاعْرِضْهُ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

وَالْآدَابِ الصَّالِحَةِ فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَخُذْفِيْهِ رَأْيَ مَنْ تَرْضَى دِيْنَهُ وَعَقْلَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ عَلَى الْحَقِّ شَاهِدًا بِقَبُوْلِ النَّفْسِ لَهُ. أَلَا تَرَى لِقَوْلِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُوْنَ)

وَقَيِّدِ الْجَوَارِحَ بِإِحْكَامِ الْعِلْمِ. وَرَاعِ هَمَّكَ بِمَعْرِفَةِ قُرْبِ اللهِ

مِنْكَ وَقُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَقَامَ الْعَبْدِ الْمُسْتَجِيرِ تَجِدْهُ رَؤُوْفًا رَحِيْمًا.
قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِن نَّفْسِهِ بِقَدْرِ مَنْزِلَتِهِ مِنْهُ).
وَذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الْخَشْيَةِ لِلَّهِ وَ الْعِلْمِ بِهِ وَ الْمَعْرِفَةِ لَهُ .
وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ آثَرَ اللهَ آثَرَهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ أَحَبَّهُ وَمَنْ تَرَكَ لَهُ شَيْئًا لَمْ يُعَذِّبْهُ بِهِ كَمَا قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ) فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ فَقْدَ شَيْءٍ تَرَكْتَهُ لِلَّهِ.
وَاحْمِ الْقَلْبَ عَنْ سُوْءِ الظَّنِّ بِحُسْنِ التَّأْوِيْلِ وَادْفَعِ الْحَسَدَ بِقَصْرِ الْأَمَلِ وَانْفِ الْكِبْرَ بِسُلْطَانِ اللهِ تَعَالَى وَاتْرُكْ كُلَّ فِعْلٍ يَضْطَرُّكَ إِلَى الاِعْتِذَارِ، وَجَانِبْ كُلَّ حَالٍ يَرْمِيْكَ فِي التَّكَلُّفِ،وَصُنْ دِيْنَكَ بِالاِقْتِدَاءِ وَاحْفَظْ أَمَانَتَكَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ وَحَصِّنْ عَقْلَكَ بِآدَابِ أَهْلِ الْحِلْمِ.
وَأَعِدَّ الصَّبْرَ لِكُلِّ مَوْطِنٍ وَ الْزَمِ الْخَلْوَةَ بِالذِّكْرِ وَاصْحَبِ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ.
وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ فِيْ كُلِّ أَمْرٍ وَاسْتَخِرِ اللهَ فِيْ كُلِّ حَالٍ وَمَا أَرَادَكَ اللهُ لَهُ فَاتْرُكِ الاِعْتِرَاضَ فِيْهِ،وَكُلُّ عَمَلٍ تُحِبُّ أَنْ تَلْقَى اللهَ بِهِ فَأَلْزِمْهُ نَفْسَكَ وَكُلُّ أَمْرٍ تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْتَزِلْهُ مِنْ أَخْلَاقِكَ، وَ كُلُّ صَاحِبٍ لَا تَزْدَادُ بِهِ خَيْرًا فِيْ كُلِّ يَوْمٍ فَانْبِذْ عَنْكَ صُحْبَتَهُ.
وَخُذْ بِحَظِّكَ مِنَ الْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ.
وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ مُخْتَبَرٌ صِدْقُهُ فِيْ كُلِّ حَالٍ مُطَّلَبٌ نَفْسُهُ بِالْبَلْوَى، رَقِيْبٌ لِلَّهِ عَلَى نَفْسِهِ. فَاثْبُتْ عَلَى مَحَجَّةِ الْحَقِّ تَأْتِكَ مَوَدَّةُ الْخَلْقِ.
وَاصْدُقْ فِي الطَّلَبِ تَرِثْ عِلْمَ الْبَصَائِرِ وَتَبْدُ لَكَ عُيُوْنُ الْمَعَارِفِ وَتَمَيَّزْ بِنَفْسِكَ عِلْمَ مَا يَرِدُ عَلَيْكَ بِخَالِصِ التَّوْفِيْقِ فَإِنَّمَا السَّبْقُ لِمَنْ عَمِلَ وَالْخَشْيَةَ لِمَنْ عَلِمَ ،وَالتَّوَكُّلُ لِمَنْ وَثِقَ، وَالْخَوْفَ لِمَنْ أَيْقَنَ وَ الْمَزِيْدَ لِمَنْ شَكَرَ.
وَاعْلَمْ أَنَّ مَا يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ مِنَ الْفَهْمِ بِقَدْرِ تَقْدِيْمِ عَقْلِهِ وَمَوْجُوْدِ عِلْمِهِ. فَتَقْوَاهُ لِلَّهِ وَطَاعَتُهُ.
فَمَن وَهَبَ اللهُ لَهُ الْعَقْلَ وَ أَحْيَاهُ بِالْعِلْمِ بَعْدَ الْإِيْمَانِ،وَبَصَّرَهُ بِالْيَقِيْنِ وَعَرَّفَهُ عُيُوْبَ نَفْسِهِ فَقَدْ نُظِمَتْ لَهُ خِصَالُ الْبِرِّ فَاطْلُبِ الْبِرَّ فِي التَّقْوَى وَخُذِ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ.
وَاسْتَجْلِبِ الْيَقِيْنَ بِمَبَاحِثِ الصِّدْقِ فِيْ مَوَاطِنِ التَّفَكُّرِ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:{ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِ يَكُوْنَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ[إلَّانعام : 75}
وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:(تَعَلَّمُوا الْيَقِيْنَ فَإِنِّي أَتَعَلَّمُهُ)
وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ عَقْلٍ لَا يَصْحَبُهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ فَهُوَ عَقْلٌ مَكَّارٌ:
إِيْثَارُ الطَّاعَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَإِيْثَارُالْعِلْمِ عَلَى الْجَهْلِ وَإِيْثَارُ الدِّيْنِ عَلَى الدُّنْيَا
وَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَصْحَبُهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ فَهُوَ مَزِيْدٌ فِي الْحُجَّةِ كف الْأَذَى بقطع الرَّغْبَةِ وَوجود الْعَمَلِ بالْخَشْيَةِ وَبَذْلِ الْإِنْصَافِ بِالتَّبَاذُلِ وَالرَّحْمَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا تزين أَحَدٌ بزينة كالْعَقْل وَلَا لَبِسَ ثَوْبًا أَجْمَلَ مِنَ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ مَا عَرَفَ اللهَ إِلَّا بِالْعَقْل وَلَا أُطِيْعَ إِلَّا بِالْعِلْمِ.

وَاعْلَمْ أن أَهْل الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ بَنَوْا أُصُوْلَ الْأَحْوَالِ عَلَى شَاهِدِ الْعِلْمِ وَتَفَقَّهُوْا فِي الْفُرُوْعِ أَلَاتَرَى لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

وَعَلَامَةُ ذَلِكَ هُوَ تَزَايُدُ الْعِلْمِ بِالْإِشْفَاقِ وَمَزِيْدُ الْعِلْمِ بِالِاقْتِدَارِ فَكُلَّمَا ازْدَادَ عِلْمًا ازْدَادَ خَوْفًا وَكُلَّمَا ازْدَادَ عَمَلًا ازْدَادَ تَوَاضُعًا.

وَالْأَصْلُ الَّذِيْ بَنَوْا بِهِ فِيْ طَرِيْقِهِمْ الْتِزَامُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوْفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِبِالصِّدْق وَتَقْدِيْمِ الْعِلْمِ عَلَى حُظُوْظِ النُّفُوْسِ وَالِاسْتِغْنَاءِ بِاللَّهِ عَنْ جَمِيْعِ خَلْقِه.

فَاطْلُبْ آثَارَ مَنْ زَادَهُ الْعِلْمُ خَشْيَةً وَالْعَمَلُ بَصِيْرَةً

والْعَقْلُ مَعْرِفَةً فَإِنْ حَجَبَكَ عَنْ مِنْهَاجِهِمْ فَقْدُ الْأَدَبِ فَارْجِعْ بِالذَّمِّ عَلَى نَفْسِكَ وَلَن يَخْفَى عَلَى أَهْل الْعِلْمِ صِفَةُ الْمُخْلِصِيْنَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ فِيْ كُلِّ فِكْرَةٍ أَدَبًا وَفِيْ كُلِّ إِشَارَةٍ عِلْمًا وَإِنَّمَا يُمَيِّزُ ذَلِكَ مَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مُرَادَهُ وَجَنَى فَوَائِدَ الْيَقِيْنِ مِنْ خِطَابِه.

وعَلَامَةُ ذَلِكَ فِي الصَّادِقِ إِذَا نَظَرَ اعْتَبَرَ وَإِذَا صَمَتَ تَفَكَّرَ وَإِذَا تَكَلَّمَ ذَكَرَ وَإِذَا مُنِعَ صَبَرَ وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ وَإِذَا ابْتُلِيَ اسْتَرْجَعَ وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْهِ حَلُمَ وَإِذَا عَلِمَ تَوَاضَعَ وَإِذَا عُلِّمَ رَفُقَ وَإِذَا سُئِلَ بَذَلَ.

شِفَاءٌ لِلْقَاصِدِيْنَ وَعَوْنٌ لِلْمُسْتَرْشِدِيْنَ وَحَلِيْفُ صِدْقٍ لِلصَّدِيْقِيْنَ وَ كَهْفُ أَمْنٍ لِلْخَائِفِيْنَ، بَرٌّ، قَرِيْب الرِّضَا فِيْ حَقِّ نَفْسِهِ بَعِيْدُ الْهِمَّةِ فِيْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى.

نِيَّتُهُ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِهِ وَعَمَلُهُ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ مَوْطِنُهُ الْحَقُّ وَمَعْقِلُهُ الْحَيَاء وَمَعْلُوْمُهُ الْوَرَعُ وَشَاهِدُهُ الثِّقَةُ،لَهُ بَصَائِرُ مِنَ النُّوْرِ يُبْصِرُ بِهَا وَ حَقَائِقُ مِنَ الْعِلْمِ يَنْطِقُ مِنْهَا وَ دَلَائِلُ مِنَ الْيَقِيْنِ يُعَبِّرُ عَنْهَا

وَإِنَّمَا يُوَاصِلُ بِذَلِكَ مَنْ جَاهَدَ لِلَّهِ تَعَالَى نَفْسَهُ وَاسْتَقَامَتْ لِطَاعَتِهِ نِيَّتُهُ وَخَشِيَ اللهَ فِي سِرِّهِ وَ عَلَانِيَتُهُ وَقَصَرَ الْأَمَلَ وَشَمَّرَ مِئْزَرَ الْحَذَرِ وَأَقْلَعَ بِرِيْحِ النَّجَاةِ فِيْ بَحْرِ الِابْتِهَالِ

فَأَوْقَاتُهُ غَنِيْمَةٌ و أَحْوَالُهُ سَلِيْمَةٌ لَمْ يَغْتَرَّ بِزُخْرُفِ دَارِ الْغُرُوْرِ وَلَمْ يُلْهِهِ بَرِيْقُ سَرَابِ نَسِيْمِهَا عَنْ أَهْوَالِ يَوْمِ النُّشُوْرِ،فَفَازَ بِمَقَامِ الْيَقَظَةِ بَعْدَ نَوْمِ الْغَفْلَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَاقِلَ لَمَّا صَحَّ عِلْمُهُ وَثَبَتَ يَقِيْنُهُ عَلِمَ أَن لَا يُنْجِيْهِ مِن رَّبِّهِ إِلَّا الصِّدْق فَسَعَى فِيْ طَلَبِهِ وَبَحَثَ عَنْ أَخْلَاقِ أَهْلِهِ رَغْبَةً فِيْ أَن يَّحْيَى قَبْلَ مَمَاتِهِ لِيَسْتَعِدَّ لِدَارِ الْخُلُوْدِ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَبَاعَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ مِن رَّبِّهِ حَيْثُ سَمِعَهُ يَقُوْلُ:{ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ [التوبة:111}.

فَعَلِمَ بَعْدَ الْجَهْلِ وَاسْتَغْنَى بَعْدَ الْفَقْرِ وَأَنِسَ بَعْدَ الْوَحْشَةِ وَقَرُبَ بَعْدَ الْبُعْدِ وَاسْتَرَاحَ بَعْدَ التَّعَبِ فَائْتَلَفَ أَمْرُهُ وَاجْتَمَعَ هَمُّهُ، وَصَارَتِ التَّقْوَى شِعَارَهُ وَالْمُرَاقَبَةَ حَالَهُ. أَلَا تَرَى لِقَوْلِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِن لَّمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)

يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ صَمِيْتًا عَيِيًّا وَحِكْمَتُهُ أَصْمَتَتْهُ

وَيَحْسَبُهُ الْأَحْمَقُ مِهْذَارًا وَالنَّصِيْحَةُ لِلَّهِ أَنْطَقَتْهُ.

وَيَحْسَبُهُ غَنِيًّا وَالتَّعَفُّفُ أَغْنَاهُ وَيَحْسَبُهُ فَقِيْرًا وَ التَّوَاضُعُ أَدْنَاهُ

لَا يَتَعَرَّضُ لِمَا لَا يَعْنِيْهِ وَلَا يَتَكَلَّفُ فَوْقَ مَا يَكْفِيْهِ وَلَا يأ خُذْ مَا لَيْسَ بِمُحْتَاجٍ إِلَيْهِ وَلَا يَدَعُ مَا وُكِّلَ بِحِفْظِهِ،النَّاسُ مِنْهُ فِيْ رَاحَةٍ وَهُوَ مِن نَّفْسِهِ فِيْ تَعَبٍ قَدْ أَمَاتَ بِالْوَرَعِ حِرْصَهُ وَ حَسَمَ بِالتُّقَى طَمْعَهُ وَأَفْنَى بِنُوْرِ الْعِلْمِ شَهَوَاتِهِ.

فَهَكَذَا فَكُنْ وَلِمِثْلِ هَؤُلَاءِ فَاصْحَبْ وَلِآثَارِهِمْ فَاتَّبِعْ وَ بِأَخْلَاقِهِمْ فَتَأَدَّبْ فَهَؤُلَاءِ الْكَنْزُ الْمَأْمُوْنُ..

بَائِعُهُمْ بِالدُّنْيَا مَغْبُوْنٌ

وَهُمُ الْعُدَّةُ فِي الْبَلَاءِ وَالثِّقَاتُ مِنَ الْأَخِلَّاءِ،إِنِ افْتَقَرْتَ أَغْنَوْكَ وَإِنْ دَعَوُا الرَّبَّ لَمْ يَنْسَوْكَ :{أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[المجادلة:22}.

وَاعْلَمْ وَسَّعَ اللهُ بِالْفَهْمِ قَلْبِيْ وَقَلْبَكَ وَأَنَارَ بِالْعِلْمِ صَدْرِيْ وَصَدْرَكَ وَ جَمَعَ بِالْيَقِيْنِ هَمِّيْ وَهَمَّكَ أَنِّيْ وَجَدْتُ أَصْلَ كُلِّ بَلَاءٍ دَاخِلٍ عَلَى الْقَلْبِ ضَرُوْرَةً مِنْ نَتَائِجِ الْفُضُوْلِ وَأَصْلُ ذَلِكَ الدُّخُوْلُ فِي الدُّنْيَا بِالْجَهْلِ وَنِسْيَانِ الْمَعَادِ بَعْدَ الْعِلْمِ.

وَالنَّجَاةُ مِنْ ذَلِكَ تَرْكُ كُلِّ مَجْهُوْلٍ فِي الْوَرَعِ،وَأَخْذُ كُلِّ مَعْلُوْمٍ فِي الْيَقِيْنِ.

وَوَجَدْتُ فَسَادَ الْقَلْبِ فَسَادَ الدِّيْنِ أَلَا تَرَى لِقَوْلِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)

وَمَعْنَى الْجَسَدِ هَاهُنَا الدِّيْنُ لِأَنَّ بِالدِّيْنِ صَلَاحَ الْجَوَارِحِ وَفَسَادَهَا.

وَأَصْلُ فَسَادِ الْقَلْبِ تَرْكُ الْمُحَاسَبَةِ لِلنَّفْسِ وَ الِاغْتِرَارُ بِطُوْلِ الْأَمَلِ فَإِذَا أَرَدْتَ صَلَاحَ قَلْبِكَ فَقِفْ مَعَ الْإِرَادَةِ وَعِنْدَ الْخَوَاطِرِ فَخُذْ مَا كَانَ لِلَّهِ وَدَعْ مَا كَانَ لِغَيْرِهِ.

وَاسْتَعِنْ عَلَى قَصْرِ الْأَمَلِ بِدَوَامِ ذِكْرِ الْمَوْتِ.

وَوَجَدْتُ أُصُوْلَ الْفُضُوْلِ الْمُتَحَرِّكَةِ مِنَ الْقَلْبِ تَظْهَرُ عَلَى:

السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ اللِّسَانِ وَالْغِذَاءِ وَاللِّبَاسِ،وَالْمَسْكَنِ.

فَفُضُوْلُ السَّمْعِ يَخْرُجُ إِلَى السَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ

وَفُضُوْلُ الْبَصَرِ يَخْرُجُ إِلَى الْغَفْلَةِ وَالْحَيْرَةِ

وَفُضُوْل اللِّسَان يَخْرُجُ إِلَى التَّزَيُّدِ وَالْبِدْعَةِ
وَفُضُوْلُ الغِذَاء يَخْرُجُ إِلَى الشَّرَهِ وَالرَّغْبَةِ.
وَفُضُوْلُ اللِّبَاسِ يَخْرُجُ إِلَى الْمُبَاهَاةِ وَ الْخُيَلَاءِ.
وَفُضُوْلُ الْمَسْكَنِ يَخْرُجُ إِلَى الْإِسْرَافِ وَالْفَخْرِ.
وَاعْلَمْ أَنَّ حِفْظَ الْجَوَارِحِ فَرِيْضَةٌ وَتَرْكَ الْفُضُوْلِ فَضِيْلَةٌ
وَالتَّوْبَةُ قَبْلَ ذَلِكَ فَرِيْضَةٌ وَقَدْ فَرَضَهَا اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّٰهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً[التحريم : 8]. مَعْنَى نَصُوْحًا تَرْكُ الْعَوْدِ فِيْمَا تَابَ مِنْهُ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ.
وقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ تُوْبُوْا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوْتُوْا وَتَقَرَّبُوْا إِلَى اللّٰهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوْا).
وَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:
حَلُّ إِصْرَارِ الْقَلْبِ عَنِ الْمُعَاوَدَةِ.
وَالاسْتِغْفَارُ بِالنَّدَمِ.
وَرَدُّ التَّبِعَاتِ وَالْمَظَالِمِ.
وَحِفْظُ الْجَوَارِحِ مِنَ الْحَوَاسِّ السَّبْعِ:السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَ اللِّسَان وَالشَّمِّ وَ الْيَدَيْنِ وَ الرِّجْلَيْنِ وَالْقَلْبِ وَهُوَ أَمِيْرُهَا وَبِهِ صَلَاحُ الْجَسَدِ وَفَسَادُهُ.
وَقَدْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَى كُلِّ جَارِحَةٍ أَمْرًا وَ نَهْيًا فَرِيْضَةً مِنْهُ،وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا سَعَةً وَإِبَاحَةً تَرْكُهَا فَضِيْلَةً لِّلْعَبْدِ.
فَفَرْضُ الْقَلْبِ -بَعْدَ الْإِيْمَانِ وَالتَّوْبَةِ-:إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلّٰهِ وَاعْتِقَادُ حُسْنِ الظَّنِّ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَالثِّقَةُ بِوَعْدِهِ،وَالْخَوْفُ مِنْ عَذَابِهِ وَالرَّجَاءَ لِفَضْلِهِ.
وَقَدْ رُوِيَ فِيْ مَعْنَى الْقَلْبِ أَخْبَارٌ كَثِيْرَةٌ مِنْهَا:
أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ مَنْ يَّلِيْنُ لَهُ قَلْبِيْ).
وَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِنَّ الْحَقَّ يَأْتِيْ وَعَلَيْهِ نُوْرٌ فَعَلَيْكُمْ بِسَرَائِرِ الْقُلُوْبِ).
وَقَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: لِلْقُلُوْبِ شَهْوَةٌ وَإِقْبَالٌ وَفَتْرَةٌ وَإِدْبَارٌ فَاغْتَنِمُوْهَا عِنْدَ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا وَذَرُوْهَا عِنْدَ فَتْرَتِهَا وَإِدْبَارِهَا.
قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللّٰهُ : الْقَلْبُ مِثْلُ الْمِرْآةِ إِذَا طَالَ مَكْثُهَا فِي الْيَدِ صَدِئَتْ،وَكَالدَّابَّةِ إِذَا غَفَلَ عَنْهَا صَاحِبُهَا هَزُلَتْ.

وقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ بَيْتٍ لَهُ سِتَّةُ أَبْوَابٍ،ثُمَّ قِيلَ لَكَ:احْذَرْ أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنْ أَحَدِ الْأَبْوَابِ شَيْءٌ فَيُفْسِدَ عَلَيْكَ الْبَيْتَ.فَالْقَلْبُ:هُوَالْبَيْتُ؛وَالْأَبْوَاب:اللِّسَانُ،وَالْبَصَرُ،وَالسَّمْعُ،وَالشَّمُّ، وَالْيَدَانِ،وَالرِّجْلَانِ؛فَمَتَى انْفَتَحَ بَابٌ من هَذِهِ الْأَبْوَابِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ضَاعَ الْبَيْتُ.

فَفَرْضُ اللِّسَانِ الصِّدْقُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ،وَكَفُّ الْأَذَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَتَرْكُ التَّزَيُّنِ بِالْخَيْرِوَالشَّرِّ.

وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(مَنْ ضَمِنَ لِيْ مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللهِ الْجَنَّةَ).

وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:(وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ).

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(أُنْذِرُكُمْ فُضُوْلَ الْكَلَامِ حَسْبُ أَحَدِكُمْ مَا يَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَهُ،فَإِنَّ الرَّجُلَ يُسْأَلُ عَنْ فُضُوْلِ كَلَامِه كَمَا يسْأَل عَن فُضُوْلِ مَالِهِ).

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ (إِنَّ اللهَ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ فَاتَّقَى اللهَ امْرُوءٌ عَلِمَ مَا يَقُوْلُ).[3]

وَفَرْضُ الْبَصَرِ الْغَضُّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَتَرْكُ التَّطَلُّعِ فِيمَا حُجِبَ وَسُتِرَ.

قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(النَّظَرُ سَهْمٌ مِّنْ سِهَامِ إِبْلِيْسَ فَمَنْ تَرَكَهُ مِنْ خَوْفِ اللهِ آتَاهُ اللهُ إِيْمَانًا يَّجِدُ حِلَاوَتَهُ فِيْ قَلْبِهِ).

وَقَالَ أَبُوالدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ النَّظَرِ الْحَرَامِ زُوِّجَ مِنَ الْحُوْرِ الْعِيْنِ حَيْثُ أَحَبَّ؛وَمَنِ اطَّلَعَ فَوْقَ بُيُوْتِ النَّاسِ حَشَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى.

وَقَالَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ لِرَجُلٍ-وَقَدْ أَحَدَّ النَّظَرَ إِلَى بَعْضِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ:يَاهَذَا ارْدُدْ نَظَرَكَ إِلَيْكَ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِيْ أَنَّ الرَّجُلَ يُسْأَلُ عَنْ فُضُوْلِ نَظَرِهِ كَمَا يُسْأَلُ عَنْ فُضُوْلِ عَمَلِهِ.

ويُقَال:لَكَ النَّظَرَةُ الْأُوْلَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ.

فَمَا هَجَمَ عَلَى النَّظَرِ فَهُوَ مَوْضُوْعٌ عَنِ الْعَبْدِ وَمَا اسْتَمَرَّ بِهِ النَّظَرُ بِمَعْقُوْلِ الْفَهْمِ فَالْعَبْدُ مَأْخُوْذٌ بِهِ.

وَفَرْضُ السَّمْعِ تَبَعٌ لِّلْكَلَامِ وَالنَّظَرِ، فَكُلُّ مَا لَا يَحِلُّ لَكَ الْكَلَام فِيْهِ وَلَاالنَّظَرُ إِلَيْهِ لَا يَحِلُّ لَكَ اسْتِمَاعُهُ وَلَا التَّلَذُّذُ بِهِ.

وَالْبَحْثُ عَمَّا كُتِمَ عَنْكَ تَجَسُّسٌ.

وَسِمَاعُ اللَّهْوِ وَالْغِنَاءِ وَأَذَى الْمُسْلِمِيْنَ حَرَامٌ كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ.

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:نُهِيْنَا عَنِ الْغِيْبَةِ وَ الِاسْتِمَاعِ إِلَيْهَا وَعَنِ النَّمِيْمَةِ وَ الِاسْتِمَاعِ إِلَيْهَا.[4]

3

. 4

وَسُئِلَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَمَاعِ الْغِنَاءِ قَالَ: إِذَا مَيَّزَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ يَقَعُ الْغِنَاء؟
قِيْلَ: فِيْ حَوْزِ الْبَاطِلِ.
قَالَ:فَأَفْتِ نَفْسَكَ.
وَلَيْسَ مِنْ جَارِحَةٍ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَى العَبْدِ -بَعْدَ لِسَانِهِ- مِنْ سَمْعِهِ، لِأَنَّهُ أَسْرَعُ رَسُوْلٍ إِلَى الْقَلْبِ وَأَقْرَبُ وُقُوْعًا فِي الْفِتْنَةِ.
وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ وَكِيْعِ بْنِ الْجَرَّاحِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ كَلِمَةً مِّن مُبْتَدِعٍ مُنْذُ عِشْرِيْنَ سَنَةً،مَا أَسْتَطِيْعُ إِخْرَاجَهَا مِنْ أُذُنِيْ.
وَكَانَ طَاوُوْسٌ إِذَا أَتَاهُ مُبْتَدِعٌ سَدَّ أُذُنَيْهِ لِئَلَّا يَسْمَعَ كَلَامَهُ .
وَفَرْضُ الشَّمِّ تَبَعٌ لِلسَّمْعِ وَالْبَصَرِ فَكُلُّ مَا حَلَّ لَكَ اسْتِمَاعُهُ وَنَظَرُهُ جَازَ لَكَ شَمُّهُ.
وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِالْعَزِيْزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ أُتِيَ بِمِسْكٍ فَأَمْسَكَ عَلَى أَنْفِهِ،فَقِيْلَ لَهُ فِيْ ذَلِكَ؟فَقَالَ:وَهَلْ يُنْتَفَعُ مِنْهُ إِلَّا بِرَائِحَتِه.
وَفَرْضُ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ: أَن لَّا تَبْسُطَهُمَا إِلَى مَحْظُوْرٍ وَلَا تَقبِضَهُمَا عَنْ حَقٍّ.
قَالَ مَسْرُوْقٌ:مَا خَطَا الْعَبْدُ خُطْوَةً إِلَّا كُتِبَتْ حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً.
وَكَتَبَتِ ابْنَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عَبْدَةَ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ: زُوْرِيْنِي.فَكَتَبَتْ إِلَيْهَا عَبْدَةُ:أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّ أَبِي رَحِمَهُ اللهُ كَانَ يَكْرَهُ أَن يسير مَسِيرًا لَّيْسَ هُوَ فِيْهِ ضَامِنًا عَلَى اللهِ أَوْ يَأْكُلَ طَعَامًا إِذَا سُئِلَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيْهِ مَخْرَجٌ وَقَدْ كَرِهْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَرِهَ أَبِي. وَالسَّلَامُ عَلَيْكِ.
فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ:فَمَاالسَّبِيْلُ إِلَى الْعَمَلِ بِذَلِكَ؟
قِيلَ:لُزُوْمُ مِنْهَاجِ الْأَئِمَّةِ الْمُتَّقِيْنَ وَالنَّظَرُ فِيْ آدَابِ الْمُسْتَرْشِدِيْنَ لِمَعْرِفَةِ الْخَطْوِ وَالتَيَقُّظُ بِالْمُحَاسَبَةِ وَالْعَمَلُ بِالْإِنْصَافِ وَ التَّحَرُّزُ بِكَفِّ الْأَذَى
وَبَذْلُ الْفَضْلِ بِتَرْكِ الْمَنَّةِ،وَحُسْنُ السَّمْتِ بِغَيْرِ حَسَدٍ،وَالْقَنَاعَةِ بِحُبِّ انْخُمُوْلِ،وَطُوْلُ الصَّمْتِ رَغْبَةً فِي السَّلَامَةِ،وَالتَّوَاضُعُ لِلْخَلْقِ بِلَا وَحْشَةٍ،وَالْأُنْسُ بِالذِّكْرِ فِي الْخَلْوَةِ،وَتَفَرُّغُ الْقَلْبِ لِلْخِدْمَةِ وَاجْتِمَاعُ الْهَمِّ بِالْمُرَاقَبَةِ وَطَلَبُ النَّجَاةِ فِيْ طَرِيْقِ الِاسْتِقَامَةِ؛ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:{ إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ[الْأَحقاف : 13}.
وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيُّ:يَا رَسُوْلَ اللهِ حَدِّثْنِيْ بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ:(قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ).
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:"اسْتَقَامُوْا" لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَلَمْ يَرُوْغُوْا رَوْغَانَ الثَّعَالِبِ.
وَقَالَ أَبُوالْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيُّ:"اسْتَقَامُوْا"أَخْلَصُوْا لِلَّهِ الدِّيْنَ وَ الدَّعْوَةَ وَ الْعَمَلَ.
وَأَصْلُ الِاسْتِقَامَةِ فِيْ ثَلَاثَةٍ:اتِّبَاعِ الْكِتَابِ،وَالسُّنَّةِ،وَلُزُوْمُ الْجَمَاعَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَنْجَى طَرِيق لِلْعَبْدِ الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ وَالتَّحَرُّزُ بِالْخَوْفِ، وَالْغِنَى بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.فَاشْتَغِلْ بِإِصْلَاحِ حَالِكَ،وَافْتَقِرْ إِلَى رَبِّكَ وَتَنَزَّهْ عَنِ الشُّبُهَاتِ، وَأَقْلِلْ حَوَائِجَكَ إِلَى النَّاسِ وَأَحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ.

وَلَا تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا، وَلَا تُظْهِرَنَّ سِرًّا، وَلَاتَكْشِفَنَّ سِتْرًا،وَلَا تُحَدِّثَنَّ نَفْسَكَ بِخَطِيْئَةٍ وَلَا تُصِرَّنَّ عَلَى صَغِيْرَةٍ.

وَافْزَعْ إِلَى اللهِ عِنْدَ كُلِّ فَاقَةٍ،وَافْتَقِرْ إِلَيْهِ فِيْ كُلِّ حَالٍ، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فِيْ كُلِّ أَمْرٍ.

وَاعْتَزِلِ الْهَوَى وَلَا تَقْنَعْ مِنْ نَفْسِكَ بِالتَّرَبُّصِ،وَأَحْمِلْ ذِكْرَكَ،وَأَدِمْ لِلَّهِ شُكْرَكَ،وَأَكْثِرْ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ،وَاعْتَبِرْ بِالْأَفْكَارِ، وَاسْتَعِدَّ بِالْعِلْمِ لِوُقُوْعِ الْفِتَنِ.

وَعَلَيْكَ بِالتَّأَنِّيْ عِنْدَ مَوَارِدِ الْعَجَلَةِ، وَحُسْنَ الْأَدَبِ فِي الْمُخَالَطَةِ.

وَلَاتَغْضَبْ لِنَفْسِكَ عَلَى النَّاسِ،وَاغْضَبْ لِلَّهِ عَلَى نَفْسِكَ،وَلَا تُكَافِئَنَّ أَحَدًا بِإِسَاءَةٍ، وَاحْذَرِ الْمِدْحَةَ لِلْجَاهِلِ بِنَفْسِهِ،وَلَا تَقْبَلْهَالِنَفْسِكَ مِنْ أَحَدٍ.

وَأَقْلِلِ الضَّحِكَ وَ جَانِبِ الْمِزَاحَ.

وَاكْتَمِ الْأَوْجَاعَ،وَأَظْهِرِ التَّعَفُّفَ،وَاسْتَبْطِنِ الثِّقَةَ وَاسْتَشْعِرِالْيَأْسَ وَ حُسْنَ الْفَقْرِ،وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ،وَكُنْ مِنْ وَعْدِ اللهِ عَلَى يَقِيْنٍ،وَمِنْ وَعِيْدِهِ عَلَى وَجَلٍ.

وَلَاتَتَكَلَّفَنَّ مَا قَدْ كُفِيْتَهُ،وَلَاتُضَيِّعَنَّ مَا وُكِّلْتَ بِطَلَبِهِ، وَافْتَقِرْ إِلَى اللهِ فِيْ كُلِّ عَطَائِهِ، وَارْغَبْ فِي النَّجَاةِ مِنْهُ.

وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ،وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ،وَصِلْ فِي اللهِ مَنْ قَطَعَكَ، وَآثِرْ فِي اللهِ مَنْ أَحَبَّكَ،وَابْذُلْ نَفْسَكَ وَمَالَكَ لِإِخْوَانِكَ، وَارْعَ حُقُوْقَ الْمَوْلَى فِي دِيْنِكَ وَلَايَعْظُمْ فِيْ عَيْنَيْكَ كَبِيْرٌ مِنَ الْمَعْرُوْفِ تَفْعَلُهُ،وَلَا تَحْقِرَنَّ صَغِيْرًا مِّنَ الْمُنْكَرِتَفْعَلُهُ، وَتَفَطَّنْ لِدَسَائِسِ الْقُلُوْبِ فَإِنَّ لِلَّهِ عُقُوْبَاتٍ.

وَاحْذَرِ التَّزَيُّنَ بِالْعِلْمِ كَمَا تَحْذَرُ الْعُجْبَ بِالْعَمَلِ وَلَا تَعْتَقِدَنَّ بَاطِنًا مِنَ الْأَدَبِ يَنْقُضُهُ عَلَيْكَ ظَاهِرٌ مِّنَ الْعِلْمِ.

وَأَطِعِ اللهَ فِيْ مَعْصِيَةِ النَّاسِ وَلَاتُطِعِ النَّاسَ فِيْ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى وَلَا تَدَّخِرَنَّ مِنْ جُهْدِكَ عَنِ اللهِ شَيْئًا وَلَا تَرْضَ مِنْ نَفْسِكَ لِلَّهِ عَمَلًا، وَقُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِيْ صَلَاتِكَ جُمْلَةً.

و أَدِّ زَكَاةَ مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ بِالنِّشَاطِ وَ الرَّغْبَةِ، وَاحْفَظْ صَوْمَكَ مِنَ الْكَذِبِ وَالْغِيْبَةِ. وَارْعَ حَقَّ الْجَارِ وَالْمِسْكِيْنِ وَالْقَرِيْبِ

وَأَدِّبْ أَهْلَكَ وَارْفُقْ بِمَا مَلَكَتْ يَمِيْنُكَ،وَكُنْ قَوَّامًا بِالنِّشَاطِ كَمَا أَمَرَكَ مَوْلَاكَ، وَإِذَا حُرِّكْتَ لِخَيْرٍ فَتَعَجَّلْهُ،وَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ فَدَعْهُ

وَالْزَمِ الرَّحْمَةَ لِلْمُذْنِبِيْنَ،وَلَا تَدَعِ النَّصِيْحَةَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ،وَقُلِ الْحَقَّ حَيْثُمَا كُنْتَ. وَلَا تُكْثِرِ الْأَيْمَانَ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، وَلَاتُخَاصِمْ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا،وَاحْذَرِ التَّوَسُّعَ فِي الْمَنْطِقِ وَإِنْ كُنْتَ بَلِيْغًا وَإِيَّاكَ وَالتَّكَلُّفَ فِي الدِّيْنِ وَإِنْ كُنْتَ عَالِمًا بِهِ. وَقَدِّمِ الْعِلْمَ قَبْلَ كُلِّ مَقَالٍ.

وَالْزَمِ الْإِشْفَاقَ بَعْدَالِاجْتِهَادِ وَدَارِ النَّاسَ مَا سَلِمَ لَكَ الدِّيْنُ وَاحْذَرِ الْمُدَاهَنَةَ أَصْلًا.

وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ.

وَلَاتَسْتَحِيَنَّ أَنْ تَقُوْلَ فِيْمَا لَاتَعْلَمُ:اللهُ أَعْلَمُ .

وَلَا تَنْشُرْ حَدِيْثَكَ عِنْدَ مَنْ لَا يُرِيْدُهُ وَلَا تَبْذُلْ دِيْنَكَ عِنْدَ مَنْ يَبْغَضُهُ إِلَيْكَ .

وَلَا تتعرض من الْبَلَاء مَا لَا طاقة لَكَ بِهِ وَأكرم نَفْسَكَ عمن يهينها وَنزه هِمَّتَكَ عَن دناءة الْ أَخْلَاق وَلَا تواخ إِلَّا أمينا وَلَا تبد أسرارك لِكُلِّ النَّاس وَلَا تجاوز بِالْمَرْءِ حالَهُ وَلَا تخاطبه من الْعِلْم بِمَا لَا يحتملهُ عقلَهُ وَلَا تدخل فِي أمر لَمْ تدع إِلَيْهِ

ووقر مجالس الْعُلَمَاء وَاعرف قَدْر الْحُكَمَاء

وَلَا تدع المكافأة بِالصَّنَائِعِ فَإِن لَّمْ تَقْدِرْ فَبِالدُّعَاءِ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُهَّالِ وَاحْلُمْ عَنِ السُّفَهَاءِ وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ اللهَ.

وَانْصُرْ أَخَاكَ مَظْلُوْمًا وَ رُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ إِنْ كَانَ ظَالِمًا،وَابْذُلْ لَهُ حَقَّهُ مِنْكَ،وَلَا تُطَالِبْهُ بِحَقِّكَ مِنْهُ،وَيَسِّرْ عَلَى الْغَرِيْمِ،وَارْفُقْ بِالْأَرْمِلَةِ وَالْيَتِيْمِ،وَأَكْرِمِ الصَابِرِيْنَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَارْحَمْ أَهْلَ الْبَلَاءِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَلَا تَحْسُدَنَّ أَحَدًا عَلَى نِعْمَةٍ.وَلَا تَذْكُرْ أَحَدًا بِغِيْبَةٍ.

وَسُدَّ عَلَى نَفْسِكَ بَابَ سُوْءِ الظَّنِّ بِخَوْفِ الْمَسْأَلَةِ،وَافْتَحْ بَابَ حُسْنِ الظَّنِّ بِسَعَةِ التَّأْوِيْلِ، وَأَغْلِقْ بَابَ الطَّمَعِ بِالْإِيَاسِ وَاسْتَفْتِحْ بَابَ الْغِنَى بِالْقَنَاعَةِ.

وَنَزِّهْ ذِكْرَ اللهِ عَنْ إِضَافَةِ الْمَكَارِهِ.

وَحَصِّلِ الْأَوْقَاتَ،وَاعْرِفْ مَا يَذْهَبُ بِهِ لَيْلُكَ وَنَهَارُكَ

وَجَدِّدْ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ تَوْبَةً،وَاجْعَلْ عُمُرَكَ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ:سَاعَةً لِّلْعِلْمِ وَسَاعَةً لِّلْعَمَلِ وَسَاعَةً لِحُقُوْقِ نَفْسِكَ وَمَا يَلْزَمُكَ.

وَاعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى وَتَفَكَّرْ فِيْ مُنْصَرَفِ الْفَرِيْقَيْنِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى فَرِيْقٌ فِي الْجَنَّةِ بِرِضَاهُ وَفَرِيْقٌ فِي السَّعِيْرِ بِسَخَطِهِ وَاعْرِفْ قُرْبَ اللهِ مِنْكَ وَأَكْرِمِ الْحَفَظَةَ الْكِرَامَ الْكَاتِبِيْنَ.

وَتَنَاوَلْ نِعَمَ اللهِ بِالْفَهْمِ،وَرُدَّهَا إِلَيْهِ بِحُسْنِ الثَّنَاءِ وَالشُّكْرِ

واحْذَرْ مِنِ اتِّهَامِ النَّفْسِ بِرُؤْيَةِ الْمَقَامَاتِ،وَتَسْفِيهِ الْحَقِّ بِغَمْطِ النَّاسِ فَإِنَّهُ سُمٌّ قَاتِلٌ،وَاعْتَزِلْ خَوْفَ السُّقُوطِ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ،بِخَوْفِ مَقْتِ اللهِ لَكَ،وَخَوْفَ الْفَقْرِ بِقُرْبِ الْأَجَلِ مِنْكَ.وَأَخْفِ أَثَرَكَ مَا اسْتَطَعْتَ

وابْذُلْ الْجُهْدَ عِنْدَ الْمَشْوَرَةِ وَأَحِبَّ فِي اللهِ بِعَزْمٍ،وَاقْطَعْ فِي اللهِ بِحَزْمٍ.

وَلَاتُخَالِلْ إِلَّا تَقِيًّا عَالِمًا وَلَاتُخَالِطْ إِلَّا عَاقِلًا بَصِيرًا

وَكُنْ مُقْتَدِيًا بِمَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْأَئِمَّةِ،مُعَلِّمًالِمَنْ بَعْدَكَ مِنَ الْأُمَّةِ، إِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ كَهْفًا لِلْمُسْتَرْشِدِينَ.

وَلَا تُظْهِرَنَّ إِلَى أَحَدٍ شَكْوَى، وَلَا تَأْكُلْ بِدِينِكَ الدُّنْيَا، وَخُذْ بِحَظِّكَ مِنَ الْعُزْلَةِ، وَلَاتَأْخُذَنَّ إِلَّا حَلَالًا وَجَانِبِ الْإِسْرَافَ،وَاقْنَعْ مِنَ الدُّنْيَا بِالْكَفَافِ. وَاطْلُبِ الْأَدَبَ فِي بَسَاتِينِ الْعِلْمِ،وَالْأُنْسَ فِي مَوَاطِنِ الْخَلْوَةِ،وَالْحَيَاةَ فِي شُعَبِ الْيَقِينِ،وَالِاعْتِبَارَ فِي أَوْدِيَةِ التَّفَكُّرِ وَالْحِكْمَةَ فِي رِيَاضِ الْخَوْفِ.

وَاعْرِفْ دَوَامَ إِحْسَانِ اللهِ إِلَيْكَ مَعَ مُخَالَفَتِكَ لِأَمْرِهِ وَحِلْمَهُ عَنْكَ مَعَ إِعْرَاضِكَ عَنْ ذِكْرِهِ وَسَتْرَهُ عَلَيْكَ مَعَ قِلَّةِ حَيَائِكَ مِنْهُ وَغِنَاهُ عَنْكَ مَعَ فَقْرِكَ إِلَيْهِ.

أَيْنَ عَالِمٌ بِرَبِّهِ؟أَيْنَ خَائِفٌ مِّنْ ذَنْبِهِ؟ أَيْنَ مَسْرُورٌ بِقُرْبِهِ؟ أَيْنَ مَشْغُولٌ بِذِكْرِهِ؟أَيْنَ مُشْفِقٌ مِنْ بُعْدِهِ؟ هُوَ ذَا مَغْفُورٌ لَهُ يَا مَغْرُورُ!! أَلَمْ يَرَكَ الْجَلِيلُ وَقَدْ هَتَكْتَ السُّتُورَ؟!

وَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ الذُّنُوبَ تُورِثُ الْغَفْلَةَ،وَالْغَفْلَةَ تُورِثُ الْقَسْوَةَ، وَالْقَسْوَةُ تُورِثُ الْبُعْدَ مِنَ اللهِ،وَالْبُعْدُ مِنَ اللهِ يُورِثُ النَّارَ وَإِنَّمَا يَتَفَكَّرُ فِي هَذَا:الْأَحْيَاءُ، وَأَمَّا الْأَمْوَاتُ فَقَدْ أَمَاتُوا أَنْفُسَهُمْ بِحُبِّ الدُّنْيَا.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ كَمَا لَا يُغْنِي ضَوْءُ النَّهَارِ:الْأَعْمَى، كَذَلِكَ لَا يُضِيءُ بِنُورِ الْعِلْمِ إِلَّا أَهْلُ التُّقَى.كَمَا أَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَنْفَعُهُ الدَّوَاءُ فَكَذَلِكَ لَا يُفِيدُ الْأَدَبَ فِي أَهْلِ الدَّعْوَى.

وَكَمَا لَا يُنْبِتُ الْوَابِلُ الصَّفَا كَذَلِكَ لَا تُثْمِرُ الْحِكْمَةَ بِقَلْبِ مُحِبِّ الدُّنْيَا.

وَمَنْ أَلِفَ هَوَاهُ قَلَّ أَدَبُهُ، وَمَنْ خَالَفَ دَلَالَةَ عِلْمِهِ كَثُرَ جَهْلُهُ، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ دَوَاءُهُ كَيْفَ يُدَاوِي غَيْرَهُ؟!

وَاعْلَمْ أَنَّ أَرْوَحَ النَّاسِ أَبْدَانًا،وَأَقَلَّهُمْ هَمًّا:أَهْلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا.

وَأَتْعَبُ النَّاسِ قُلُوبًا وَأَكْثَرُهُمْ شُغْلًا: أَهْلُ الِاهْتِمَامِ بِالدُّنْيَا

وأَعْوَنُ الْأَخْلَاقِ عَلَى الزُّهْدِ قِصَرُ الْأَمَلِ وَأَقْرَبُ حَالَاتِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ ذِكْرُ الْقِيَامِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ. قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:{إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً [النساء : 1}.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا طَرِيقَ أَقْرَبُ مِنَ الصِّدْقِ وَلَا دَلِيلَ أَنْجَحُ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا زَادَ أَبْلَغُ مِنَ التَّقْوَى.

وَمَا رَأَيْتُ أَنْفَى لِلْوَسْوَاسِ مِنْ تَرْكِ الْفُضُولِ،وَلَا أَنْوَرَ لِلْقَلْبِ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدْرِ.

وَوَجَدْتُ كَرَامَةَ الْمُؤْمِنِ تَقْوَاهُ، وَحِلْمُهُ صَبْرُهُ، وَعَقْلُهُ تَحَمُّلُهُ،وَمَوَدَّتُهُ تَجَاوُزُهُ وَعَفْوُهُ،وَشَرَفُهُ تَوَاضُعُهُ وَرِفْقُهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَحَبَّةَ الْغِنَى - مَعَ اخْتِيَارِ اللهِ لِعَبْدِهِ الْفَقْرَ- تَسَخُّطٌ وَمَحَبَّةَ الْفَقْرِ - مَعَ اخْتِيَارِ اللهِ لِعَبْدِهِ الْغِنَى- جَوْرٌ،وَ كُلُّ ذَلِكَ هَرَبٌ مِّنَ الشُّكْرِ لِقِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَتَضْيِيعٌ لِّلْأَوْقَاتِ مِنْ قَصْرِ الْعِلْمِ.

وَذَلِكَ أَنَّ إِيْمَانَ الْغَنِيِّ لَا يُصْلِحُهُ الْفَقْرُ، وَإِيْمَانُ الْفَقِيْرِ لَا يُصْلِحُهُ الْغِنَى،كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُوْلُ :(إِنَّ مِنْ عِبَادِيْ مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيْمَانَهُ إِلَّا الْفَقْرُ وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ مِنْ عِبَادِيْ مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيْمَانَهُ إِلَّا الْغِنَى وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ).

وَكَذَلِكَ فِي الصِّحَّةِ وَالسَّقَمِ،فَمَنْ عَرَفَ اللهَ لَمْ يَتَّهِمْهُ،وَمَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ رَضِيَ بِقَضَائِهِ.وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ لَكَفَتْهُمْ:{ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ[القصص : 68}

وَاحْذَرْ أَخْلَاقَ الْجَاهِلِيْنَ وَمُجَالَسَةَ الْمُذْنِبِيْنَ،وَدَعَاوَى الْمُعْجِبِيْنَ، وَ رَجَاءَ الْمُغْتَرِّيْنَ،وَيَأْسَ الْقَانِطِيْنَ.

وَكُنْ بِالْحَقِّ عَامِلًا،وَبِاللهِ وَاثِقًا،وَبِالْمَعْرُوْفِ آمِرًا وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا

فَإِنَّ مَنْ صَدَقَ اللهَ نَصَحَهُ،وَمَنْ تَزَيَّنَ لِغَيْرِهِ فَضَحَهُ،وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ،وَمَنْ وَثِقَ بِغَيْرِهِ مَقَتَهُ،وَمَنْ خَافَهُ أَمِنَهُ،وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ أَكْرَمَهُ وَمَنْ آثَرَهُ أَحَبَّهُ.وَمَنْ أَحَبَّهُ مَوْلَاهُ فَقَدْ فَازَ.

وَاحْذَرْ أَنْ تَدِيْنَ لِلَّهِ بِالْعَقْلِ،وَتَعْمَلَ بِالْهَوَى وَتَتْرُكَ الْحَقَّ وَتَبُوْءَ بِالْبَاطِلِ وَتَتَمَنَّى الْمَغْفِرَةَ وَأَنْتَ نَاسٍ لِلتَّوْبَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُرْضَى مِنَ الْعِلْمِ وَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا ثَبَتَ بِالْيَقِيْنِ أَصْلُهُ، وَعَلَا بِالصِّدْقِ فَرْعُهُ، وَأَثْمَرَ بِالْوَرَعِ نَبَاتُهُ،وَقَامَ بِالْإِشْفَاقِ بُرْهَانُهُ، وَحُجِبَ بِالْخَشْيَةِ أَسْتَارُهُ،فَلَا تَرْضَ مِنْ نَفْسِكَ بِالتَّوَانِيْ فَإِنَّهُ لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي التَّفْرِيْطِ وَلَا لِأَحَدٍ عَنِ اللهِ غِنَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ حُسْنُ النِّيَّةِ فِيْمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَالتَّوْفِيْقَ لِمَحَابِّهِ. وَمَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا وَهَبَ لَهُ الْعَقْلَ وَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْعِلْمَ

وَحَبَاهُ بِالْإِشْفَاقِ وَاسْتَعْمَلَهُ بِالرِّفْقِ وَأَغْنَاهُ بِالْقَنَاعَةِ،وَبَصَّرَهُ عَيْبَهُ.

وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ-أَنَّ الصِّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ أَصْلُ كُلِّ حَالٍ،فَعَنِ الصِّدْقِ يَتَشَعَّبُ الصَّبْرُ وَالْقَنَاعَةُ وَالزُّهْدُ وَ الرِّضَا وَالْأُنْسُ.

وَعَنِ الْإِخْلَاصِ يَتَشَعَّبُ الْيَقِيْنُ وَالْخَوْفُ وَالْمَحَبَّةُ وَالْإِجْلَالُ وَالْحَيَاءُ وَالتَّعْظِيْمُ.

وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ فِيْ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ مَوْطِنٌ يُعْرَفُ بِهِ حَالُهُ فَيُقَالُ لَهُ: خَائِفٌ، وَفِيْهِ الرَّجَاءُ، وَرَاجٍ، وَفِيْهِ الْخَوْفُ وَ:صَابِرٌ، وَفِيْهِ الرِّضَا وَ:مُحِبٌّ، وَفِيْهِ الْحَيَاءُ. و:قُوَّةُ كُلِّ حَالٍ وَضُعْفُهُ بِحَسَبِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ وَمَعْرِفَتِهِ.

وَلِكُلِّ أَصْلٍ مِّنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُ بِهَا الْحَالُ:

فَالصِّدْقُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ: صِدْقُ الْقَلْبِ بِالْإِيْمَانِ تَحْقِيْقًا، وَصِدْقُ النِّيَّةِ فِي الْأَعْمَالِ،وَصِدْقُ اللَّفْظِ فِي الْكَلَامِ.

وَالصَّبْرُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَاتَتِمُّ إِلَّا بِهِ:

الصَّبْرُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ وَالصَّبْرُ عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِ اللهِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ احْتِسَابًا لِلَّهِ. والْقَنَاعَةُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

قِلَّةُ الغِذَاءِ بَعْدَ وُجُوْدِهِ، وَصِيَانَةُ الْفَقْرِعِنْدَ الْعَدَمِ وَقِلَّةُ الْأَسْبَابِ وَالسُكُوْن إِلَى أَوْقَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَعَ حُلُوْلِ الْفَاقَةِ.

وَلِلْقَنَاعَةِ أَوَّلُ وَ آخِرُ،فَأَوَّلُهَا:تَرْكُ الْفُضُوْلِ مَعَ وُجُوْدِ الِاتِّسَاعِ وَآخِرُهَا وُجُوْدُ الْغِنَى مَعَ الْقِلَّةِ وَفَقْدِ الْأَسْبَابِ، وَمِنْ هَاهُنَا قَالَ بَعْضُهُمْ: الْقَنَاعَةُ أَعْلَى مِنَ الرِّضَا" وَإِنَّمَا أَرَادَقَنَاعَةَ التَّمَامِ لِأَنَّ الرَّاضِيَ لَا يَتَغَيَّرُ فِي الْمَنْعِ وَالْعَطَاءِ،وَالْقَانِعُ غَنِيٌّ بِرَبِّهِ،لَا يَبْتَغِي الزِّيَادَةَ مَعَهُ مِنْ حَظِّ هَوَاهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ.

وَالزُّهْدُ فِيْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ -لَا يُسَمَّى زَاهِدًا إِلَّا بِهَا-: خَلْعُ الْأَيْدِيْ مِنَ الْأَمْلَاكِ، وَنَزَاهَةُ النَّفْسِ عَنِ الْحَلَالِ وَالسَّهْوُ عَنِ الدُّنْيَا بِكَثْرَةِ الْأَوْقَاتِ. وَ يَكُوْنُ الرَّجُلُ مُتَزَهِّدًا بِثَلَاثَةٍ أُخَرَ: حِمْيَةُ النَّفْسِ عِنْدَ تَرَامِي الْإِرَادَاتِ وَالْهَرْبُ مِنْ مَوَاطِنِ الْغِنَى وَأَخْذُ الْمَعْلُوْمِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

وَالْأُنْسُ فِيْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:أُنْسٌ بِالْعِلْمِ وَالذِّكْرِ فِي الْخَلْوَةِ. وَأُنْسٌ بِالْيَقِيْنِ وَالْمَعْرِفَةِ مَعَ الْخَلْوَةِ وَأُنْسٌ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ فِيْ كُلِّ حَالٍ.

وَالرِّضَا ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

قُبُوْلُ أَحْكَامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالتَّسْلِيْمُ لِأَمْرِهِ،وَتَرْكُ الِاخْتِيَارِ فِيْ قَضَائِهِ. وَالرِّضَا نِظَامُ الْمَحَبَّةِ وَنَفْسُ التَّوَكُّلِ، وَرُوْحُ الْيَقِيْنِ.

وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ أَيُّوْبَ السِّخْتِيَانِيِّ وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا أَنَّهُمَا كَانَا يَقُوْلَانِ: الرِّضَا: التَّوَكُّلُ.

فَهَذِهِ شُعَبُ الصِّدْقِ الْمَأْخُوْذَةُ بِأَوْصَافِ الْعِلْمِ.

وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُوْلُ:إِذَا كَمُلَ صِدْقُ الصَّادِقِ لَمْ يَمْلِكْ مَا فِيْ يَدَيْهِ.

وَأَمَّا شُعَبُ الْإِخْلَاصِ فَلَا يُسَمَّى الْمُخْلِصُ مُخْلِصًا حَتَّى يُفْرِدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ.

ثُمَّ إِرَادَتُهُ اللهَ بِإِقَامَةِ التَّوْحِيْدِ،وَجَمْعِ الْهَمِّ لَهُ وَبِهِ فِي الْفَرْضِ وَالنَّفْلِ.

وَصِحَّةُ الْيَقِيْنِ فِيْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:سُكُوْنُ الْقَلْبِ إِلَى الثِّقَةِ بِاللَّهِ وَالِانْقِيَادِ لِأَمْرِ اللهِ وَالْإِشْفَاقُ وَالْوَجَلُ مِنْ سَابِقِ الْعِلْمِ.

وَلِلْيَقِيْنِ أَوَّلُ وَ آخِرُ فَأَوَّلُهُ:الطُّمَأْنِيْنَةُ،وَآخِرُهُ:إِفْرَادُ اللهِ بِالْكِفَايَةِ لِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ:{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ.[الزمر:36}، وَقَوْلِهِ تَعَالَى:{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ.[الْأَنْفَال: 64}.

وَالْحَسْبُ هُوَ:الْكَافِيْ وَالْمُكْتَفِيْ هُوَ:الْعَبْدُ الرَّاضِيْ بِمَا قَضَى اللهُ تَعَالَى.

وَإِنَّمَا قُلْنَا آخِرُ الْيَقِيْنِ مِنْ وُجُوْدِ أَوْصَافِ الْعَبْدِ مَقَامَ الْإِيْمَانِ لَا فِيْ آخِرِ الْيَقِيْنِ مِنَ الْعِلْمِ،وَلَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِّنْ خَلْقِ اللهِ كَمَا قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(لَنْ يَبْلُغَ أَحَدٌ مِّنَ اللهِ كُنْهًا) قَالُوْا: يَارَسُوْلَ اللهِ إِنَّا بَلَغَنَا أَنَّ عِيْسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَمْشِيْ عَلَى الْمَاءِ قَالَ:لَوِازْدَادَيَقِيْنًاوَخَوْفًا لَمَشَى فِي الْهَوَاءِ".

وَلَا يَكُوْنُ الْخَوْفُ إِلَّا بَعْدَ الْيَقِيْنِ وَهَلْ رَأَيْتَ خَائِفًا لَّمَا لَمْ يَسْتَيْقِنْهُ؟.

وَالْخَوْفُ فِيْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:خَوْفُ الْإِيْمَانِ وَعَلَامَتُهُ بَذْلُ الْجُهْدِ فِيْ مُفَارَقَةِ الْمَعَاصِيْ وَالذُّنُوْبِ وَهُوَ خَوْفُ الْمُرِيْدِيْنَ.

وَخَوْفُ السَّلْبِ وَعَلَامَتُهُ الْخَشْيَةُ وَالْإِشْفَاقُ وَالْوَرَعُ،وَهُوَ خَوْفُ الْعُلَمَاءِ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَخَوْفُ الْفَوْتِ وَعَلَامَتُهُ بَذْلُ الْجُهْدِ فِيْ طَلَبِ مَرْضَاةِ اللهِ بِوُجُوْدِ الْهَيْبَةِ وَالْإِجْلَالِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ،وَهُوَ خَوْفُ الصِّدِّيْقِيْنَ.

وَمَقَامٌ رَابِعٌ فِي الْخَوْفِ خَصَّ اللهُ بِهِ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَهُوَخَوْفُ الْإِعْظَامِ لِأَنَّهُمْ آمِنُوْنَ فِيْ أَنْفُسِهِمْ بِأَمَانِ اللهِ لَهُمْ فَخَوْفُهُمْ تَعَبُّدُهُمْ لِلَّهِ إِجْلَالًا وَإِعْظَامًا.

وَالْمَحَبَّةُ فِيْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا يُسَمَّى مُحِبًّا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا بِهَا مَحَبَّةُ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَلَامَةُ ذَلِكَ:كَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ وَجَلْبُ الْمَنْفَعَةِ إِلَيْهِمْ عَلَى سَبِيْلِ الشَّرِيْعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

وَمَحَبَّةُ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَلَامَةُ ذَلِكَ اتِّبَاعُ سُنَّتِه

قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:{ قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ [آل عمران : 31}

وَمَحَبَّةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِيْ إِيْثَارِ الطَّاعَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَيُقَالُ: ذِكْرُ النِّعْمَةِ يُوْرِثُ الْمَحَبَّةَ.

وَلِلْمَحَبَّةِ أَوَّلٌ وَوَسَطٌ،وَ آخِرٌ: فَأَوَّلُهَا مَحَبَّةُ اللهِ بِالْأَيَادِيْ وَالْمِنَنِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: جُبِلَتِ الْقُلُوْبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا.وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ عَهْدًا وَرَحْمَةً وَرَأْفَةً وَتَجَاوُزًا إِلَّا اللهَ الْحَلِيْمَ الْكَرِيْمَ.

وَوَسَطُهَا:الِامْتِثَالُ لِأَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيْهِ، بِحَيْثُ لَا يَفْقِدُكَ فِيْمَا أَمَرَكَ بِهِ،وَلَا يَجِدُكَ فِيْمَا نَهَاكَ عَنْهُ،فَإِذَا وَقَعَتِ الْمُخَالَفَةُ ذَهَبَ الِاعْتِرَافُ بِهَا وَالِانْقِلَابُ عَنْهَا فِي الْحِيْنِ.

وَأَعْلَاهَا الْمَحَبَّةُ لِوُجُوْبِ حَقِّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ،قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ إِنَّمَا يُحِبُّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِأَنَّهُ هُوَ اللهُ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِّطَاوُوْسٍ:أَوْصِنِيْ.قَالَ:أُوْصِيْكَ أَنْ تُحِبَّ اللهَ حُبًّا حَتَّى لَا يَكُوْنَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْهُ وَخَفْهُ خَوْفًا حَتَّى لَا يَكُوْنَ شَيْءٌ أَخْوَفَ إِلَيْكَ مِنْهُ،وَارْجُ اللهَ رَجَاءً يَحُوْلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ الْخَوْفِ وَارْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ،قُمْ فَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ عِلْمَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيْلِ وَالزَّبُوْرِ وَالْفُرْقَانِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْإِجْلَالَ وَالتَّعْظِيمَ مِنَ الْحَيَاءِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَلَاغِنَى لِأَحَدِهِمَا عَنْ صَاحِبِهِ وَإِذَا اسْتَحْيَا الْعَبْدُ مِن رَّبِّهِ عَزَّوَجَلَّ عَظَّمَهُ وَأَجَلَّهُ. وَأَصْلُ الْحَيَاءِ الْمُرَاقَبَةُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

والْمُرَاقَبَةُ فِيْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:مُرَاقَبَةُ اللهِ فِيْ طَاعَتِهِ بِالْعَمَلِ،وَمُرَاقَبَةُ اللهِ فِيْ مَعْصِيَتِهِ بِالتَّرْكِ،وَمُرَاقَبَةُ اللهِ فِي الْهَمِّ وَالْخَوَاطِرِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

ومُرَاقَبَةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَشَدُّ تَعَبًا عَلَى الْبَدَنِ مِنْ مُكَابَدَةِ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ وَإِنْفَاقِ الْمَالِ فِيْ سَبِيْلِ اللَّهِ.

وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُوْلُ:إِنَّ لِلَّهِ فِيْ أَرْضِهِ آنِيَةً،وَإِنَّ مِنْ آنِيَتِهِ فِيْهَا الْقُلُوْبُ،فَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا مَاصَفَا وَصَلُبَ وَرَقَّ. ومعنى ذَلِكَ أن يصفي الْقَلْب لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ باتّبَاع أَمْره وَنهيه وَمشاهدة الصِّدْق وَالْإِشْفَاق وَصَفَاه لرَسُوْل الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبُوْلِ مَا أتى بِهِ ق وَلَا وَعملا وَنية وَصَفَاه لِلْمُؤْمِنِيْنَ بكف الْأَذَى وَإِيصال النفع، وَمَعْنَى ذَلِكَ:أَنَّ صَفَاءَ الْقَلْبِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ،وَمُشَاهَدَةِالصِّدْقِوالْإِشْفَاقِ،وَصَفَاءَهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُولِ مَاأَتَى بِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَنِيَّةً،وَصَفَاءَهُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ بِكَفِّ الْأَذَى وَإِيْصَالِ النَّفْعِ.

وَأَمَّاقَوْلُهُ:وَصَلُبَ" فَمَعْنَاهُ قَوِيَ فِيْ إِقَامَةِ الْحُدُوْدِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَقَوْلُهُ:وَرَقَّ" فَالرِّقَّةُ عَلَى وَجْهَيْنِ: رِقَّةٌ بِالْبُكَاءِ وَرِقَّةٌ بِالرَّأْفَةِ.

وَبِاللَّهِ التَّوْفِيْقُ وَهُوَحَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ.

(تمت الرسالة)